

علي وخالد في صوت واحد: وسنرتحل معك. قال الشيخ: دعاه يقل. ومضى عبد الرحمن في حديثه فقال: إن ابنتي لم تعد تصلح زوجاً لخالد، ولكني لا أحب الطلاق؛ لأنَّ الله لا يحب الطلاق. وهمَّ خالد أن يتكلم، فأشار الشيخ إليه: أن صه. قال عبد الرحمن: فأريد أن أشهدك على أنني سأكفل ابنتي والصبيتين ما حييت، فإذا متُّ فإني أوصي بهن وبامراتي ومالي كله إلى خالد، يقوم في ذلك كله بأمر الله وبما ينبغي من البر بالزوج والولد والصهر وذوي المودة والقربى، ولم يبلغ عبد الرحمن ذلك من قوله حتى كان علي وابنه ينتحبان. قال الشيخ: ما رأيت كالليلة قوة، وما رأيت كالليلة ضعفاً. ثم نظر إلى علي وابنه وهو يقول: أما تستحيان؟! ثم بسط يده إلى عبد الرحمن وقال: ابسط يدك أبايك على ما تقول وأنا وكيل خالد، وتصافح الرجلان. ثم أقبل الثلاثة على الشيخ فقبلوا يده، ثم صفق الشيخ تصفيقاً خفيفاً، فلما أقبل الخادم قال الشيخ: أرسل إلينا قهوة، وقل للشيخ مذكور يغني لنا:

سائق الأظعان يطوي البيدَ طي

وما هي إلا لحظة حتى أقبلت القهوة وأقبلت المجرمة في شيء من بخور، وارتفع صوت الشيخ مذكور في هدوء الليل يغني في شعر ابن الفارض الجميل والقوم يشربون القهوة حسواً خفيفاً، والشيخ يضطرب في مجلسه اضطراباً خفيفاً ويقول في صوت همس: الله! الله! ثم ينقطع الصوت وينهض الشيخ فيصلي ركعتين، ويصلي كل من الثلاثة مثله ركعتين، فإذا أتموا صلاتهم قال الشيخ للجماعة: انصرفوا راشدين، نراك قبل سفرك يا عبد الرحمن؟ قال عبد الرحمن: لا يا مولاي؛ إنه سفر يحسن الاستعجال به.